# اثبات النبوۃ

حضرت امام ربانی مجدد الف ثانی شیخ احمد فاروقی سرہندی

ویلیہ

## الدولۃ المکیۃ بالمادۃ الغیبیۃ

مصنفہ امام اہل سنت مجدد ملت اعلیٰحضرت مولٰنا احمد رضا خانصاحب قادری رحمۃ اللہ علیہ

مع تعلیقاتہا للمصنف

بسم الله الرحمٰن الرحيم ؕ

الحمد لله الذی ارسل رسوله بالهدی وانزل علیه الکتاب ولم یجعل له عوجا قیما لینذر باسا شدیدا من لدنه ویبشر المؤمنین الذین یعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا فاکمل به لعباده دینهم واتم علیهم نعمته ورضی لهم الاسلام دینا وختم به الانبیاء والرسل المبعوثین الی الخلق بالآیات الباهرة والمعجزات العظمی لیسلمهم الیهما نفسهم تسلیم العمیاء الی القائدین وتسلیم المرضی المتحیرین الی الاطباء المشفقین لتحصیل فوائد ومنافع العقل معزول عنها وجعله افضل الانبیاء واکرم الرسل واعدل لهم ملة واقومهم دینا وشرعا هو الذی اخبر سبحانه عن اعتدال حاله ومرتبة کماله بقوله مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغٰی لَقَدْ رَاٰی مِنْ اٰیٰتِ رَبِّهِ الْکُبْرٰی محمد المبعوث ۵۳/۱۹ الی کافة الوری لیدعوهم الی تنزیهه وتوحیده ویکملهم فی قوتهم العلمیة و العملیة ویعالج لقلوبهم المرضی صلی الله علیه صلوة هو لها اهل وعلی اله واصحابه الذین هم نجوم الهدی ومصابیح الدجی ما تعاقب الظلم والضیا وسلم تسلیما کثیرا کثیرا۔

اما بعد فیقول العبد المفتقر الی رحمة الله الولی المعین احمد بن عبد الاحد بن زین العابدین صانهم الله سبحانه عما لا یلیق بهم ویبتین انی

لما رايت فتورا عتقاد الناس فى هذا الزمان فى اصل النبوة ثم فى ثبوتها وتحققها
لشخص معين ثم فى العمل بما شرعته النبوة وتحقق شيوع ذلك فى الخلق حتى
ان بعض متغلبة زماننا عذب كثيرا من العلماء بتشديدات وتعذيبات لا يناسب
ذكرها لرسوخهم فى متابعة الشرايع واذعان الرسل وبلغ الامر الى ان يهجر
التصريح باسم خاتم الانبياء عليه الصلوة والسلام فى مجلسه ومن كان
مسمى باسمه الشريف غير اسمه الى اسم غيره ومنع ذبح البقرة وهو من اجل
شعائر الاسلام فى الهند وخرب المساجد ومقابر اهل الاسلام و عظم
معابد الكفار وايام رسوماتهم وعباداتهم وفى الجملة ابطل شعائر الاسلام
واعلامه وروج رسوم الكفار واديانهم الباطلة حتى اظهر احكام كفرة الهند
فنقلها من لغتهم الى اللغة الفارسية ليمحو آثار الاسلام كلها وعلمت عموم
داء الشك والانكار حتى مرض الاطباء واشرف الخلق على الهلاك وتتبعت
عقيدة آحاد الخلق وسالت عن شبهتهم وبحثت عن سرائرهم وعقائدهم
فما وجدت سببا لفتور اعتقادهم وضعف ايمانهم الا بعد العهد من
النبوة والخوض فى علم الفلسفة وكتب حكماء الهند وناظرت بعض من
قرء علم الفلسفة واخذ من كتب الكفرة حظا وادعى الفضيلة والفضل و
اضل الناس وضل فى تحقيق اصل النبوة وفى ثبوتها لشخص معين حتى قال
ان حاصل النبوة يرجع الى الحكمة والمصلحة واصلاح ظاهر الخلق وضبط
عوامهم عن التنازع والتشاجر واللاسترسال فى الشهوات ولا تعلق لها
بالنجاة الاخروية وانما هى لتهذيب الاخلاق وتحصيل فضائل الاعمال

لعله كما فى نسخة مولانا حافظها ثم جان مدظله ولكن فى نسخة دهلى حتى قتل كثير من علماء اهل الاسلام لرسوخهم

القلبية التى اوردها الحكماء فى كتبهم وبينوها حق التبيين ثم اورد
لتائيده ان الغزالى جعل كتابه احياء العلوم اربعة ارباع وجعل ربع
المنجيات قسيما لربع العبادات كالصلوة والصوم وغيرهما مما اورد
فى كتب الفقه يفهم منه انه موافق للحكماء وان العبادات البدنية غير
منجية عنده كما هى غير منجية عند الحكماء ايضا ثم قال اَنَّ حُكْمَ مَنْ
بلغه دعوةُ النبى ولم يثبت عنده نبوته لبُعْدِ العهد وعدم ثبوت اٰياته
ومعجزاته عنده حُكْمُ شاهِقِ الجبلِ الذى لم يبلغه دعوةُ النبى فى عدم
وجوب الايمان بالنبى والفرق بينهما تحكم فقلت ان الحكمة الازلية
والعناية الالهية اقتضت بعثة الانبياء عليهم السلام لتكميل النفوس
البشرية ومعالجة امراض القلبية وهو لا يتيسر الا بان يكونوا منذرين
للعاصى ومبشرين للمطيع ومخبرين عن عذاب وثواب اخرويين لما
ان كل نفس يستولى عليها الشوق الى مشتهياتها فيقدم على المعاصى
والرذائل من الاعمال وتكميلهم سبب لسعادتهم ونجاتهم فى
الدارين بل النجاة الاخروية والسعادة الابدية هى المطلوب من
البعثة لان متاع الدنيا قليل واما الحكماء فانهم لما اراد وترويج
اباطيلهم خلطوا معها ما سرقوا من الكتب المنزلة على الانبياء
واقوالهم واقوال اتباعهم الكمل من بيان تهذيب الاخلاق و
تحصيل الاعمال الصالحة المتعلقة بالباطن ودونوه علما براسه
كما ترى، والامام المحقق حجة الاسلام انما اورده قسيما للعبادات

لان الفقهاء انما اوردوه فی کتب الفقه بطریق التبعیة والضمن ولم
یبینوه حق التبیین لان غرضهم الاصلی یتعلق بظواهر الاعمال
ویحکمون بالظاهر ولا یشققون القلوب والبواطن وانما بینه علماء
الطریقة والسلوك فالامام جمع بین الشریعة المتعلقة بالظاهر
وبین الطریقة المتعلقة بالباطن وقسم کتابه باعتبار اختلاف
المتعلق والمقصد وانما سمی هذا القسم بالمنجی وان ذکر فی العبادات
انها منجیة ایضا لان النجاة من اداء العبادات عرفت عن الفقه
ونجاة هذا القسم مما لا یعرف منه فتامل وان بقی لك شك بعد
فتامل فی کلامه الذی اوردته فی هذه الرسالة لیحصل لك
النجاة من هذه الشبهة بالکلیة وقلت ایضا انك ما رأیت
جالینوس وسیبویه فبم عرفت انه کان طبیبا وسیبویه نحویا
فان قلت لانی علمت حقیقة علم الطب فطالعت کتبه و
تصانیفه وسمعت اقواله فاذا هی مشعرة عن معالجة الامراض
وازالة الاسقام فحصل لی منه علم ضروری بحاله وکذلك علمت
النحو ورأیت کتب سیبویه وسمعت اقواله فحصل لی منه علم
ضروری بانه نحوی قلت اذا علمت معنی النبوة فاکثر النظر فی
القرآن والاخبار یحصل لك العلم الضروری بکونه صلی الله تعالی
علیه وآله وسلم علی اعلی درجات النبوة وبعد العهد غیر قادح فی
هذا التصدیق کما لا یقدح فی التصدیق السابق لما ان جمیع اقواله

وافعاله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مشعر عن تكميل النفوس البشرية
فى قوتهم العلمية والعملية بالعقائد الحقة والاعمال الصالحة وعن
معالجة القلوب المريضة وازالة ظلماتها ولا معنى للنبوة الا ذلك
واما شاهق الجبل الذى لم يبلغه دعوة النبى صلى الله عليه وسلم وما
سمع اقواله وما علم احواله فلا يمكنه التصديق بنبوته ولا يتيسر له
العلم بارساله فكان النبى لم يبعث فى حقه فكان معذورا غير
مكلف بايمانه لقوله سبحانه وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا و ١٧/١٥
لما تمكن فى قلبى وتقرر فى صدرى ان اقرر لهم ما يرفع شكوكهم و
احرر لاجلهم ما يزيل شبهتهم لما رأيت ذلك على نفسى حقا واجبا و
دينا لازما لا يسقط بدون الاداء فالفت رسالة وحررت مقالة فى
اثبات مطلب اصل النبوة ثم فى تحققها وثبوتها لخاتم الرسل عليه من
الصلوة افضلها ومن التحيات اكملها وفى رد شبهة المنكرين النافين
لها وفى ذم الفلسفة وبيان الضرر الحاصل من ممارسة علومهم و
مطالعة كتبهم بدلائل وبراهين ملتقطا واخذا اياها من كتب
القوم وملحقا ومضيفا اليها ما سنح به خاطرى الكليل بعون الله
الملك الجليل، فاقول الرسالة مرتبة على
مقدمة ومقالتين اما المقدمة
ففيها بحثان

# البحث الاول فى التحقيق فى معنى النبوة

اعلم ان النبى عند المتكلمين من قال له الله ارسلتك الى قوم كذا او الى كافة الناس او بلغهم عنى او نحوه من الالفاظ المفيدة لهذا المعنى كبعثتك اليهم ونبأتهم ولا يشترط فى الارسال شرط ولا استعداد ذاتى كما زعمه الحكماء بل الله يختص برحمته من يشاء وهو اعلم حيث يجعل رسالته لما هو سبحانه قادر مختار يفعل ما يشاء ويختار ما يريد اقول لا يتوهم ان المتكلمين شرطوا المعجزة للنبى ايضا وجعلوها من خواص يمتاز هو بها عن غيره لان المعجزة عندهم شرط للعلم بكونه نبيا لا لكونه نبيا والمراد من الامتياز الامتياز العلمى لا الذاتى فافهم واما الفلاسفة فقالوا النبى من اجتمع فيه خواص ثلث يمتاز بها عن غيره احدها ان يكون له اطلاع على المغيبات الكائنة والماضية والآتية قُلْنَ ان الاطلاع على جميع المغيبات لا يجب على النبى اتفاقا منا ومنكم والاطلاع على البعض لا يختص بالنبى كما جوزتموه للمرتاضين والمرضى والنائمين فلا تمييز اقول لعلهم ارادوا الاطلاع على اكثر المغيبات الخارج عن المعتاد الخارق للعادة وهو ليس مجهولا بل هو معلوم عادة وعرفا واما الاطلاع على الغيب والاخبار به مرة او مرتين بدون التكرار البالغ حد الاعجاز فليس بخارق للعادة فحينئذ يتميز النبى عن غيره فافهم

اعلم ان المتكلمين ايضا معترفون بان الانبياء يعلمون الغيب باعلام الله سبحانه الا ان الاشتراط به باطل وكذا السبب الذى اوردته الفلاسفة للاطلاع مردود ايضا لاينا سب اصول اهل الاسلام بقى شئ وهو ان الاطلاع على المغيبات على هذا التقدير يكون داخلا فى الخاصة الثانية لما انه من الامور العجيبة الخارقة للعادة فلا يظهر لايراده على احدة وجه حسن فتامل وثانيها ان يظهر منه الافعال الخارقة للعادة لكون هيولى العناصر مطيعة له منقادة لتصرفاته انقيادا بدنه لنفسه فلا بعد ان يقوى نفس النبى فيؤثر فى الهيولى العنصرية بحسب ارادته وتصرفاته حتى يحدث بارادته فى الارض رياح وزلازل وحرق وغرق وهلاك اشخاص ظالمة وخراب ابدان فاسدة قلنا هذا بناء على تاثير النفوس فى الاجسام وقد بين فى موضعه ان لا موثر فى الوجود الا الله سبحانه على ان ظهور الامور العجيبة الخارقة للعادة لا يختص بالنبى كما اعترفتم به فكيف يميزه عن غيره اقول ان الفلاسفة وان جوزوا ظهور الامور العجيبة من غير الانبياء ايضا لكنهم لم يجوزوا تكرارها وبلوغها الى حد الاعجاز الخارق للعادة كما يفهم من عباراتهم فحينئذ يتميز النبى عن غيره لظهور الامور العجيبة الخارقة للعادة من النبى وعدم ظهور تلك الامور من غيره فافهم والله سبحانه اعلم بالصواب۔

وثالثها ان يرى الملك مصورة بصور محسوسة ويسمع كلامه

وحيا من الله سبحانه قلنا هذا لا يوافق مذهبهم واعتقادهم بل هو تلبيس على الناس فى معتقدهم وتستر عن شناعته بعبارة لا يقولون معناها لانهم لا يقولون بملائكة يرون بل الملائكة عندهم لما نفوس مجردة فى ذواتها متعلقة باجرام الافلاك او عقول مجردة ذاتا وفعلا ويسمى بالملاء الاعلى ولا كلام لهم يسمع لانه من خواص الاجسام اذ الحروف والاصوات عندهم من الامور العارضة للهواء المتموج اقول لعل الفلاسفة انما منعوا رؤية المجردات وسماع كلامهم اذا كانوا غير مصورين بصور وغير مجسمين باجسام وحينئذ جاز ان يتمثلوا بصور ويظهروا باجسام فيتعلق الرؤية بهم ويجوز سماع كلامهم ايضا لان لكل مرتبة حكما جوازا ومنعا وهؤلاء لما تنزلوا عن مراتبهم العالية ولبسوا كسوة التنزل اخذوا احكام هذه المرتبة ولا محذور فيه فافهم والله سبحانه اعلم۔

## البحث الثانى فى المعجزة

وهى عندنا عبارة عما قصد به اظهار صدق من ادعى انه رسول الله ولها شرائط۔ (الف) ان يكون فعل الله لان التصديق منه (ب) ان يكون خارقة للعادة لان ما هو معتاد كطلوع الشمس فى كل يوم وبدؤ الازهار فى كل ربيع لا يدل على الصدق كما ترى (ج) ان يتعذر معارضتها لان ذلك حقيقة الاعجاز۔ (د) ان يكون ظاهرة

على يد مدعي النبوة ليعلم انه تصديق له - (ه) ان يكون موافقة للدعوى
فلو قال معجزتي ان احي ميتا ففعل خارقا اخر كفتق الجبل مثلا لم يدل
على صدقه لعدم تنزله منزلة تصديق الله سبحانه اياه - (و) ان لا يكون
ما ادعاه واظهره من المعجزة مكذبا له فلو قال معجزتي ان ينطق
هذا الضب فنطق الضب انه كاذب لم يعلم به صدقه بل ازداد
اعتقادا كذبه لان المكذب هو نفس خارق - (ز) ان لا يكون متقدمة
على الدعوى لان التصديق قبل الدعوى لا يعقل واما كلام عيسى عليه السلام
في المهد وتساقط الرطب الجني عليه من النخلة اليابسة وشق بطن محمد
صلى الله عليه واله وسلم وغسل قلبه واظلال الغمامة وتسليم
الحجر والمدر عليه وغيرها مما كانت متقدمة على دعوى النبوة
فليست معجزات بل هي كرامات وتسمى حينئذ ارهاصا اي
تاسيسا للنبوة واما المعجزة المتاخرة عن الدعوى فاما ان
يكون تاخرها بزمان يسير يعتاد مثله فظاهر انها دالة على الصدق
واما ان يكون تاخرها بزمان متطاول لتمثل ان يقول معجزتي ان
يحصل كذا بعد شهر فحصل فاتفقوا على انه معجزة ايضا دالة على
ثبوت النبوة لكنه انتفى التكليف بمتابعته حينئذ مالم يحصل
الموعود لانه شرط العلم بكونها معجزة وذلك بعد حصول ما وعد
به واما كيفية دلالتها على صدق مدعي النبوة فاعلم ان هذه
الدلالة ليست دلالة عقلية محضة كدلالة الفعل على وجود الفاعل

ودلالة احكامه واتقانه على كونه عالما بما صدر عنه فان الادلة العقلية
ترتبط بنفسها بمدلولاتها ولا يجوز تقديرها غير دالة عليها وليست
المعجزة كذلك فان خوارق العادات كانقطار السموات وانتشار
الكواكب وتدكدك الجبال تقع عند تصرم الدنيا وقيام الساعة
ولا ارسال فى ذلك الوقت وكذلك يظهر الكرامات على ايدى
الاولياء من غير دلالة على صدق مدعى النبوة كذا حققه السيد
السند فى شرح المواقف اقول وبالله العصمة والتوفيق ان التصريح
بالتحدى وطلب المعارضة وان لم يكن شرطا للمعجزة عند الجمهور
الا ان التحدى الضمنى المفهوم من قرائن الاحوال مما لابد منه فى
المعجزة عند الكل وبدونه لا تصير معجزة فالاخبار عن اشياء يكون
وقوعها وتحققها عند تصرم الدنيا وقيام الساعة لا يكون معجزة لما
لا تحدى ثمه اصلا اما صريحا فظاهر واما ضمنا فكذلك لما لا وجود
لاحد فى ذلك الوقت حتى يتصور منه طلب المعارضة وكذلك
الكرامات الظاهرة على ايدى الاولياء ليست معجزات لعدم مقارنتها
الدعوى والتحدى فلا يلزم من عدم دلالة هذه الخوارق على صدق
مدعى النبوة خلو المعجزات عن هذه الدلالة والمطلوب هو ذاك
فافهم فان قلت دلالة المعجزات على صدق مدعى النبوة ليست
الا لانها خارقة للعادة ولا مدخل لخصوصية المعجزة فى هذه الدلالة
قلت ليس الامر كما زعمت بل الدال هو تعذر المعارضة وعدم قدرة

الغير على اتيان مثلها الذى هو حقيقة الاعجاز فيكون لخصوصيتها
مدخل فى الدلالة بل هى العمدة فى الدلالة لايقال قد صرح السيد
السند الشريف فى شرح المواقف بأن الدليل النقلى المحض لا يتصور
اذ صدق المخبر لا بد منه وانه لا يثبت الا بالعقل وهو ان ينظر فى المعجزة
الدالة على الصدق يفهم منه ان دلالة المعجزة على صدق النبى عقلية
ونفى ههنا الدلالة العقلية عنها فهل هذا الا تناقض لانا نقول المفهوم
من هذه العبارة هو نظر العقل فى المعجزة الدالة على الصدق ليعلم
منه صدق المخبر واما ان دلالتها على الصدق عقلية او عادية او غير
ذالك فمما لا يفهم منها اصلا سلمنا ذلك لكن لا يفهم منها انها دلالة
عقلية محضة وهو المطلوب بالنفى ههنا لما لا يدعى احد ان لا مدخل للعقل
فى دلالتها اصلا ليكون تناقضا والحصر الواقع فى عبارته قدس سره
اضافى اورد بالنسبة الى النقل فتأمل وكذا ليست دلالة المعجزة على صدق
النبى دلالة سمعية والا دار لتوقفها على صدق النبى بل هى دلالة عادية
حيث اجرى الله تعالى عادته بخلق العلم بالصدق عقيب ظهور المعجزة فان
م على يد الكاذب وان كان ممكنا عقلا فمعلوم انتفاؤه عادة لان من قال انا
نبى ثم نتق الجبل واوقفه على رؤسهم وقال ان كذبتمونى وقع عليكم و
ان صدقتمونى انصرف عنكم وكلما هموا بتصديقه بعد عنهم واذا
هموا بتكذيبه قرب عنهم علم بالضرورة انه صادق فى دعواه والعادة
قاضية بامتناع ذالك من الكاذب وقد اورد والهذا امثلا وقالوا اذا

ادعى الرجل بمشهد الجم الغفير انى رسول هذا الملك اليكم ثم قال للملك
ان كنت صادقا فخالف عادتك وقم من الموضع المعتاد لك وهو السرير
واقعد بمكان لا تعتاده ففعل كان ذلك نازلا منزلة التصديق بصريح
مقاله ولم يشك احد فى صدقه بقرينة الحال وليس هذا من باب
قياس الغائب على الشاهد بل ندعى ان ظهور المعجزة يفيد علما ضروريا
بالصدق وان كونه مفيدا له معلوم بالضرورة العادية وتذكر هذا
المثال للتفهيم وزيادة التقرير وقالت المعتزلة خلق المعجز على يد الكاذب
مقدور لله تعالى لعموم قدرته لكنه ممتنع وقوعه فى حكمته لان فيه ايهام
صدقه وهو اصل قبيح من الله سبحانه فيمتنع صدوره عنه كسائر
القبايح قال الشيخ وبعض اصحابنا ان خلق المعجزة على يد الكاذب
غير مقدور فى نفسه لان للمعجزة دلالة على الصدق قطعا بحيث
يمتنع التخلف عنها فلا بد لها من وجه دلالة اذ به يتميز الدليل الصحيح
عن الفاسد وان لم نعلم ذلك الوجه بعينه فان دل المعجز المخلوق
على يد الكاذب على الصدق كان الكاذب صادقا وهو محال والا انفك
المعجز عما يلزمه من دلالة القطعية على مدلوله وهو ايضا محال
وقال القاضى اقتران ظهور المعجزة بالصدق ليس امرا لازما لزوما
عقليا كاقتران وجود الفعل بوجود فاعله بل هو احد العاديات كما
اذا جوزنا انخراقها عن مجراها العادى جاز اخلاء المعجز عن اعتقاد
الصدق وحينئذ يجوز اظهاره على يد الكاذب ولا محذور فيه سوى

خرق العادة فى المعجزة والمفروض انه جائز واما بدون ذلك التجويز
فلا يجوز اظهاره على يد الكاذب لان العلم بصدق الكاذب محال اقول
ان تجويز انخراق العاديات عن مجراها العادى مطلقا يوجب تجويز
اخلاء المعجزة عن اعتقاد صدق النبى ايضا لان العلم بصدقه
عقيب المعجزة عادى فحينئذ لا يتميز الصادق عن الكاذب وينسد باب
اثبات النبوة لان العمدة فى اثباتها تحقق العلم الضرورى العادى بصدق
النبى عند ظهور المعجزة بل يلزم ان لا يكون المعجزة معجزة وان لا يكون
لها دلالة على الصدق اصلا لانها باعتبار خرقها العادة تسمى معجزة و
تدل على الصدق فلو جوزنا انخراق العادة مطلقا صارت هى حينئذ
كالامور المعتادة فى عدم الدلالة على الصدق كطلوع الشمس فى كل يوم
فالحق فى هذا المقام ما اتلو عليك انا انما جوزنا خرق العادة خاصة فى
حق النبى اعجازا وفى حق الولى كرامة مع كونه سفسطة لحصوله فى كل عصر
وتحققه فى كل زمان حتى صار عادة مستمرة لا يمكن انكاره ولا يرتفع
استبعاده واما فيما وراء ذلك فالعادة باقية على حالتها الاصلية
لا يرتفع استبعادها ولا يتطرق اليها شبهة ولا يجوز فيها انخراق اصلا والا
يلزم تجويز انقلاب الجبل الذى رأيناه فيما مضى ذهبا الان وكذا ماء البحر
دما اودهنا واوانى البيت رجالا عملاء ويولد هذا الشيخ دفعة بلا اب و
ام وكون من ظهرت المعجزة على يده غير من ادعى النبوة بان يعدم هو
ويوجد مثله ولا يخفى ما فيه من الخبط والاختلال فى امور المعاش و

المعاد فلو اظهر الله سبحانه المعجزة على يد الكاذب لم يتخلف عنها اعتقاد صدقه عادة ويلزمها العلم العادى بصدقه لما ان العادة احد طرق العلم كالحس والعلم بصدق الكاذب محال وايضا يكون اظهار المعجزة تصديقا من الله للكاذب وتصديق الكاذب كذب تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا واما السحر ونحوه فمن قبيل ترتيب الاسباب لحصول المسببات وليس من الخوارق فى شيئ على انه توهيم وتخييل و اراءة حقيقة غير متحققة فى نفس الامر كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا۔

له فى القرآن المجيد: سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا (١٧/٤٣)

# المقالة الاولى وفيها مسلكان

المسلك الاول، فى البعثة وحقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق اليها اعلم ان جوهر الانسان فى اول الفطرة خلق ساذجا خاليا لا خبر معه من عوالم الله والعوالم كثيرة لا يعلمها الا الله سبحانه كما قال سبحانه وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وانما خبره من العوالم بواسطة الادراك فكل ادراك من الادراكات انما خلق ليطلع الانسان به على عالم من الموجودات ونعنى بالعوالم اجناس الموجودات فاول ما يخلق فى الانسان حاسة اللمس فيدرك به الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة وغيرها واللمس قاصر عن ادراك الالوان والاصوات قطعا بل هى كالمعدومة فى حق اللمس ثم يخلق له البصر فيدرك به الالوان والاشكال وهو اوسع عالم المحسوسات

ثم ينفتح له السمع فيسمع الاصوات والنغمات ثم يخلق له الذوق كذلك الى
ان يجاوز عالم المحسوسات فيخلق فيه التميز وهو قريب من سبع سنين وهو طور
آخر من اطوار وجوده فيدرك فيه امورا زايدة على المحسوسات يوجد منها شئ فى
عالم الحس ثم يترقى الى طور آخر فيخلق له العقل فيدرك الواجبات و
الجائزات والمستحيلات وامورا لا توجد فى الاطوار التى قبله ووراء العقل
طور آخر ينفتح فيه عين اخرى يبصر بها الغيب وما سيكون فى المستقبل وامورا
أُخرى العقل معزول عنها كعزل قوة الحس عن مدركات التميز وكما ان
التميز لو عرض عليه مدركات العقل لابى واستبعدها فكذلك بعض العقلاء
ابى مدركات النبوة فاستبعدها وذلك عين الجهل اذ لا مستند له الا انه
طور لم يبلغه ولم يوجد فى حقه فظن انه ليس موجودا فى نفسه والا لكمه لو لم
يعلم بالتواتر والتسامع الالوان والاشكال وحكيت له ابتداء لم يعلمها ولم
يقربها وقد قرب الله تعالى ذلك على خلقه بان اعطاهم انموذجا من خاصة
النبوة وهو النوم اذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب اما صريحا او فى كسوة
مثال يكشف عنه التعبير وهذا القسم لو لم يجربه الانسان من نفسه وقيل
له ان من الانسان من يسقط مغشيا عليه كالميت ويزول احساسه وسمعه
وبصره فيدرك الغيب لانكره ولاقام البرهان على استحالته وقال القوى
الحاسة اسباب الادراك فمن لا يدرك مع ركودها فاولى واحق ان لا يدرك
مع زوالها وهذا نوع قياس يكذب به الوجود والمشاهدة وكما ان العقل طور
من اطوار الآدمى يحصل فيه عين يبصر بها انواعا من المعقولات والحواس

معزولة عنها فكذلك النبوة عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور يظهر
فى نورها الغيب وامور لا يدركها العقل والشك فى النبوة اما ان يقع فى امكانها
او فى وجودها ودليل امكانها وجودها ودليل وجودها وجود معارف وعلوم
لا يتصور ان ينال بالعقل كعلم الطب والنجوم فان من بحث عنها علم بالضرورة
انها لا تدرك الا بالهام الهى وتوفيق من جهة الله تعالى سبحانه ولا سبيل اليه
بالتجربة فمن الاحكام النجومية ما لا تقع الا فى كل الف سنة مرة فكيف ينال
ذلك بالتجربة وكذلك خواص الادوية فتبين بهذا البرهان ان من الامكان
وجود طريق ادراك هذه الامور التى لا يدركها العقل وهو المراد ههنا بالنبوة
لان النبوة عبارة عنها فقط بل ادراك هذه الجنس الخارج من مدركات
العقل احدى خواص النبوة ولها خواص كثيرة سواها وها ذكرناها لان معك
انموذجا منها من مدركاتك فى النوم ومعك علوم من جنسها فى الطب
والنجوم وهى معجزات الانبياء ولا سبيل اليها للعقلاء بيضاعة العقل
اصلا واما ما عداها من خواص النبوة فانما ندركه بالذوق من سلوك طريق
التصوف وسبيل اولياء الله ولكن هذه الخاصة الواحدة يكفيك فى
الايمان باصل النبوة كما ذكره الامام الغزالى فى كتابه المسمى بالمنقذ
عن الضلال قالت الفلاسفة البعثة حسنة لاشتمالها على فوائد
كمعاضدة العقل فيما يستقل بمعرفته العقل مثل وجود البارى وعلمه
وقدرته واستفادة الحكم من النبى فيما لا يستقل به العقل مثل
الكلام والرؤية والمعاد الجسمانى لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ (ص ١٧٥)

وازالة الخوف الحاصل عند الاتيان بالحسنات لكونه تصرفا فى ملك
الله بغير اذنه وعند تركها لكونه ترك الطاعة واستفادة الحسن والقبح
فى الافعال التى يحسن تارة ويقبح اخرى من غير اهتداء للعقل الى
مواقعها ومعرفة منافع الاغذية والادوية ومضارها التى لا تقى بها
التجربة الابعد ادوار واطوار مع ما فيها من الاخطار وحفظ النوع
الانسانى فان الانسان مدنى بالطبع يحتاج الى التعاون فلابد من
شرع يفرضه شارع يكون مطاعا وتكميل النفوس البشرية بحسب
استعداداتهم المختلفة فى العلميات والعمليات وتعليمهم الصنايع
الحقيقية من الحاجات والضروريات والاخلاق الفاضلة الراجعة الى
الاشخاص والسياسات الكاملة العائلة الى الجماعات من المنازل و
المدن والاخبارات بالعقاب والثواب ترغيبا فى الحسنات وتحذيرا عن
السيئات الى غير ذلك لا يخفى ان المفهوم من هذا الكلام وجوب
البعثة فالمراد بالحسن ما يعم الواجب ايضا ويؤيده ما وقع التصريح
منهم فى بعض المواضع بان البعثة واجبة والمنكرون للبعثة اوردوا
اعتراضات الاول المبعوث لابد ان يعلم ان القائل له ارسلتك فبلّغ عنى
هو الله ولا طريق الى العلم به اذ لعله من القاء الجن وانكم اجمعتم على وجوده
والجواب ان المرسل ينصب دليلا يعلم به الرسول ان القائل له ارسلتك
هو الله دون الجن بان يظهر الله سبحانه آيات ومعجزات يتقاصر عنها
جميع المخلوقات وتكون مقيدة لذلك العلم او يخلق علما ضروريا

فيه بانه المرسل والقائل الثانى ان من يلقى الى النبى الوحى ان كان
جسمانيا وجب ان يكون مرئيا لكل من حضر حال الالقاء وليس الامر كذلك
كما اعترفتم به وان لم يكن جسمانيا بل روحانيا كان القاء الوحى منه بطريق
التكلم مستحيلا اذ لا يتصور للروحانيات كلام والجواب باختيار الشق الاول
ومنع الملازمة استنادا بانه جاز ان لا يخلق الله رؤيته فى الحاضرين فان
قدرته لا تقصر عن شئ ولا يخفى ان تجويز عدم خلق رؤيته للحاضرين مع
انه فى نفسه ممكن مقدور لله سبحانه يستلزم تجويز ان يكون بحضرتنا
جبال شاهقة وبلاد عظيمة لا نراها وبوقات وطبول لا نسمعها وهو
سفسطة فاقول والله سبحانه اعلم ان الملقى جسمانى لطيف شفاف
وهو الملك ورؤية الجسم الشفاف غير معتادة كالسماء فلا يلزم السفسطة
وانما يلزم ان لو يجوز عدم رؤية الجسم الكثيف لما هو خلاف المعتاد فافهم.
ولنا ان نجيب باختيار الشق الثانى ايضا بان يكون الروحانى متمثلا
بصورة لطيفة شفافة ويسمع الرسول كلامه وحيا من الله سبحانه كما مر
ولا محذور فيه فتامل، الثالث التصديق بالرسالة يتوقف على العلم
بوجود الرسل وما يجوز عليه وما لا يجوز وانه لا يحصل الا بعد مض النظر
والنظر الموصل الى هذا العلم غير مقدر بزمان معين كيوم او سنة بل هو
مختلف بحسب الاشخاص واحوالهم فلا مكلف الاستمهال لتحصيل النظر و
دعوى عدم العلم فى اى زمان كان وحينئذ يلزم افحام النبى ويبقى البعثة
عبثا وان لم يجز له الاستمهال بل وجب عليه التصديق بلا مهلة

لزم التكليف بما لايطاق لان التصديق بالرسالة بدون العلم المذكور مما لايتصور وجوده وانه قبيح عقلا فيمتنع صدوره عن الحكيم تعالى.
والجواب انه لايجب الاهمال لانا بيّنا فيما سبق من انه اذا ادعى الرسالة واقترن بدعواه المعجزة الخارقة للعادات وجب المتابعة بلا مهلة لحصول العلم العادى عند ظهور المعجزة بصدق الرسول فافهم.

الرابع ان البعثة لايخلو عن التكليف لانه فائدتها والتكليف ممتنع بوجوه الاول انه يثبت الجبر لما ان فعل العبد واقع بقدرة الله تعالى ولا تاثير لقدرة العبد عندكم والتكليف بفعل الغير تكليف مما لايطاق والجواب ان قدرة العبد وان كان غير موثرة الا ان لها تعلقا بالفعل يسمى كسبا وباعتباره جاز التكليف به فلا يكون تكليفا بما لايطاق الثانى ان التكليف اضرار بالعبد لما يلزم من ضر التعب بالفعل او العقاب بالترك والاضرار قبيح والله تعالى منزه عنه والجواب ان ما فى التكليف من المصالح الدنيوية والاخروية يربى كثيرا على المضرة التى هى فيها كما سيجئ تحقيقه وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل مما لايجوز الثالث ان ما فى التكليف من التعب اما لا لغرض وهو عبث قبيح او لغرض يعود الى الله وهو تعالى منزه عن الاغراض كلها او الى العبد وهو اما اضرار وهو منتف بالاجماع او نفع وتكليف جلب النفع والتعذيب بعده مخالف المعقول لانه بمنزلة ان يقال لاحصّل المنفعة لنفسك ولاعذبتك ابد الآباد والجواب انه فرع حكم العقل بالحسن والقبح ووجوب الغرض فى افعاله تعالى وقد ابطلنا كل واحد منهما فى موضعه وايضا ان